تبني الدور الوالدي لدى المراهقين أبناء المطلقين وغير المطلقين في منطقة المثلث الجنوبي في فلسطين: دراسة مقارنة في ضوء مجموعة من الأعراض النفسية والمتغيرات الديموغرافية

Parentification among Adolescents of Divorced and Non-Divorced Parents of South Triangle Area in Palestine: A Comparative Study in Relation to a number of Psychological Symptomes and Demographic Variables

اَية شواهنة، و وسام بريك*

Aya Shawahna & Wisam Breik

قسم علم النفس، جامعة عمان الأهلية، الأردن

*الباحث المراسل: wisam.breik@yahoo.com

تاريخ التسليم: (2015/11/21)، تاريخ القبول: (2016/10/13)

ملخص

هدفت الدراسة الكشف عن الفروق بين المراهقين أبناء المطلقين وغير المطلقين في ظاهرة تبني الدور الوالدي parentification، وعن الفروق بين المتبنين للدور الوالدي وغير المتبنين له في الأعراض النفسية التي تتضمنها قائمة الأعراض المختصرة، إضافة إلى الكشف عن القدرة التنبؤية لمجموعة من المتغيرات الديموغرافية بتطور تبني الدور الوالدي. تكونت عينة الدراسة من 200 مراهق (100) من أبناء المطلقين، و(100) من أبناء غير المطلقين في منطقة المثلث الجنوبي في فلسطين. ولتحقيق أهداف الدراسة استخدمت صورة معدلة عن استبانة تبني الدور الوالدي، (Sessions & Jurkovic, 1986) وقائمة الأعراض المختصرة BSI (Derogatis, 1992). كشفت نتائج اختبار ت عن فروق دالة في مستويات تبني الدور الوالدي بين أبناء المطلقين وغير المطلقين؛ حيث كان متوسط درجات الفئة الأولى على استبانة تبني الدور الوالدي أعلى بدرجة دالة من متوسط درجات نظرائهم. كما بينت النتائج وجود فروق دالة بين درجات المراهقين الذين طوروا ظاهرة تبني الدور الوالدي وبين درجات نظرائهم الذين لم يطوروا هذه الظاهرة في جميع الأبعاد التي تضمنتها قائمة الأعراض المختصرة BSI، كما بينت نتائج تحليل الانحدار اللوجستي Logistic Regression أن متغيرات المستوى الاقتصادي والتعليمي للوالدين وعمر المراهق قد فسرت 34.9% من التباين في توزيع متغير تبني الدور الوالدي. في حين أن قيمة التباين المفسر في توزيع متغير تبني الدور الوالدي العائد إلى جنس المراهق أو ترتيبه الولادي لم تكن دالة.

الكلمات المفتاحية: تبني الدور الوالدي، الأعراض النفسية، أبناء المطلقين، الأعراض النفسية.

Abstract

This study aimed at exploring the differences in parentification between adolescents of divorced and non-divorced parents, and the differences between the parentified and the non-parentified adolescents in relation to a number of psychological symptoms, and to investigate the predictability of a number of demographic variables in the development of parentification. The sample consisted of 200 adolescents selected from the South Triangle area in Palestine. To achieve the study objectives, an adapted form of Parentification Questionnaire - PQ (Sessions and Jurkovic, 1986) and the Brief Symptom Inventory - BSI (Leonard R. Derogatis, 1992) were adopted. Results of (t-test) revealed significant differences in parentification levels between the adolescents of divorced and non-divorced parents; the mean of the scores on the PQ of the former group was significantly higher than that of the latter. Significant differences were also found between the parentified group and the non-parentifird group in the different dimensions of the BSI. Logistic regression revealed that the economic status and the academic level of the parents and the adolescent’s age explained 34.9% of the variance in the distribution of the parentification variable. Whereas, the value of the explained variance in parentification in relation to the adolescence’ gender or birth order were not significant.

Keywords: Parentification, Divorced Parents, Psychological Symptoms, Adolescents.

المقدمة

يشكل تولي الأطفال والمراهقين لأدوار الكبار وشؤون الرعاية لأفراد الأسرة، سواء الوالدين أو الإخوة، مشكلة إكلينيكية جديرة بالبحث والاهتمام؛ نظرا لما يمكن أن ينجم عن تحمل هذه المسؤوليات المنوطة بالكبار من نتائج سلبية قد تستمر تأثيراتها وتمتد إلى مختلف المراحل العمرية. ومع أن بعض الأطفال يقومون بتقديم بعض أشكال الرعاية إلى بعض أفراد الأسرة خلال مرحلتي الطفولة أو المراهقة، إلا أن بعض الأطفال يتحملون مسؤوليات لا توكل في العادة إلى الأطفال، ويفوق العبء الذي تفرضه هذه المسؤوليات قدرة هؤلاء اليافعين؛ مما يجعلها غير ملائمة للمرحلة التطورية التي يمرون بها. هذا المستوى المفرط في تقديم الرعاية في مرحلة الطفولة يسمى تبني الدور الوالدي Parentification وهي حالة إكلينيكة شائعة في مختلف المجتمعات؛ إذ تشير الدراسات (Becker, 2007) إلى أن أربعة أطفال من كل مائة من الأطفال

الذين يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وأستراليا يقومون بأدوار الرعاية في أسرهم. وفي مسح أجري في الولايات المتحدة عام 2005 (Barber & Siskowski, 2008) تبين أن 1.3 -1.4 من الأطفال والمراهقين ممن تتراوح أعمارهم بين 8- 18 عاما يتولون مهام تقديم الرعاية في أسرهم. ويتوقع أن تكون هذه المعدلات أعلى بكثير في الدول النامية، كبعض الدول الأفريقية التي تنتشر فيها الأمراض المميتة من نحو متلازمة فقدان المناعة المكتسبة AIDS. أما في المناطق العربية، وعلى وجه التحديد في فلسطين المحتلة، حيث تتعرض الأسر إلى فقدان رأس الأسرة ومعيلها، وبسبب العديد من المشاكل المرتبطة بالاحتلال والآثار السلبية التي تخلفها على المنظومة الأسرية، فيتوقع أن تفوق نسبة الأطفال والمراهقين الذين يقومون بتقديم الرعاية في أسرهم هذه المعدلات بشكل كبير.

ومنذ عقود قريبة أطلق الباحثون مصطلح تبني الدور الوالدي على الحالات التي يتم فيها عكس الأدوار في الأسرة، بحيث يقوم الأبناء بأداء أدوار الراشدون في الوقت الذي لا يكونون قد حققوا مستوى مناسبا من النمو يؤهلهم لتولي هذه الأدوار (Blacka & Sleigha, 2013). وعندما يصبح الأطفال هم مقدم الرعاية الأساسيين في الأسرة، فإنهم يتنازلون عن حقهم في الحصول على الرعاية والاهتمام والتوجيه السليم؛ مما قد يترك آثارا بعيدة الأمد على نموهم وقدرتهم على التكيف (Hooper, 2007). كما يشكل تبني الدور الوالدي انتهاكا لحدود الأجيال "disturbance in generational boundaries"، التي تعد أساسية لضمان النمو السليم للأبناء (McMahon & Luthar, 2007)، لا سيما وأن هرمية الأدوار وتمايزها يشكلان عنصرا جوهريا هاما في عملية ضبط سلوك الأبناء؛ فمن خلال وجود حدود واضحة بين الآباء وأبنائهم يتم توفير الحماية للأبناء، كما يتم تعزيز نموهم النفسي (Sroufe, Matas & Rosenberg, 2000).

وحرمان الطفل والمراهق من العيش في بيئة أسرية ملائمة تفتقر إلى عوامل الأمن والرعاية، يجعله عرضة إلى مشاعر مختلطة من الخوف والقلق وهو ما يحدث عندما تتعرض بنية الأسرة إلى التفكك والانحلال؛ بسبب الخلافات الحادة بين قطبي الأسرة الرئيسين، أو موت أحدهما، أو الطلاق، أوالانفصال، أو تعرض أحدهما للاضطراب النفسي؛ أو الإعاقة بسبب المرض، أو الإدمان. هذه التأثيرات السلبية التي تصاحب انهيار البناء الأسري تهدد جوهر العلاقة بين الآباء والأبناء، وتؤدي إلى اضطراب الأدوار المنوطة بكلا الفريقين (Nichols & Schwartz, 2005)، وهو ما أيدته كيلي (Kelly, 2000) التي بينت أن الصراعات الزواجية التي تصاحب عملية الطلاق تؤثر سلبا في هرمية الأدوار داخل الأسرة؛ إذ ترتبط هذه الصراعات، في الأغلب، بالممارسات الوالدية غير المجدية، بدءا من استخدام طرق غير ثابتة في ضبط سلوك الأبناء، ووصولا إلى تقلص العلاقة المتصفة بالدفء الوالدي، فضلا عن تطور مشاعر عدم الكفاية عند الآباء وانعدام الحس بالمسؤولية والقدرة على تولي زمام الأمور في الأسرة؛ مما يقود الأبناء إلى تبني أدوارهم لسد النقص.

فالأطفال والمراهقون الذين يتبنون الأدوار الوالدية يبالغون بكبت مشاعرهم كرد فعل على انشغالهم وتركيزهم على عواطف الآخرين (الآباء أو القائمين على رعايتهم)؛ مما يؤدي إلى

فشلهم في تكوين منظومة عاطفية صحية تمكنهم من التعامل المناسب مع مشاعرهم وضغوط الحياة، كما تعاق قدرتهم على تحقيق التوافق النفسي وما يرافق ذلك من المشاعر السلبية التي تتشكل في مثل هذه الظروف (Fitzgerald, 2005).

هذه النتيجة أيدتها دراسات عديدة توصلت إلى وجود علاقة ارتباطية دالة بين ظاهرة تبني الدور الوالدي وشعور الأبناء بالذنب والخجل وتدني مستويات تقدير الذات والأداء الأكاديمي في المدرسة والمراحل التي تليها (Chase, Demming & Wells, 1998;)، ناهيك عن تطوير الاضطرابات النفسية من نحو: الاكتئاب (Earley & Cushway, 2002; Jurkovic, 1997; Martin, 1995)، وسمات الشخصية النرجسية (Jones & Wells, 1996), واضطرابات الأكل والمزاج، والإدمان، وإساءة استخدام المواد، وأشكال مختلفة من الاضطرابات الذهانية (Rowa, Kerig & Geller, 2001; Shifren & Kachorek, 2003; Carroll & Robinson, 2000).

من هنا تبرز أهمية البحث في ظاهرة تبني الدور الوالدي، والكشف عن مدى انتشارها بين المراهقين أبناء المطلقين مقارنة بنظرائهم أبناء غير المطلقين، إذ اتضح لدى مراجعة أدب الموضوع أن معظم الدراسات التي تناولت ظاهرة تبني الدور الوالدي ركزت على التأثير النفسي لهذه الظاهرة على الأطفال في المقام الأول، ولم يحظ المراهقون بالاهتمام الكافي من الباحثين، كما أن القليل من الدراسات تناولت عينات من أبناء المطلقين. إضافة إلى عدم تناول هذه الظاهرة من قبل الباحثين في المجتمعات العربية. ومما يدعو إلى ضرورة دراسة هذه الظاهرة ذلك التزايد الواضح في عدد حالات الطلاق الذي تشهده المجتمعات العربية كافة. ويبدو أن المجتمع الفلسطيني غير مستثنى من هذا الواقع؛ فبحسب منشورات دائرة الإحصاءات العامة في المناطق الفلسطينية داخل الخط الأخضر، سجلت المحاكم الشرعية والقانونية لعام 2010م (1842) حالة طلاق، ووصلت عام 2011 إلى ما يقرب (2009) حالة طلاق.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

استنادا إلى ما ذكر فإن الدراسة تسعى إلى الكشف عن الفروق بين المراهقين أبناء المطلقين وغير المطلقين في ظاهرة تبني الدور الوالدي parentification، وعن الفروق بين المتبنين للدور الوالدي وغير المتبنين له في مجموعة من الأعراض النفسية الإكلينيكة من نحو: الأعراض السيكوسوماتية، والوسواس القهري، والحساسية البين شخصية، والاكتئاب، والقلق، والعدائية، والرهاب، والذهانية، والبارنوية، إضافة إلى الكشف عن القدرة التنبؤية لمتغيرات جنس المراهق، وترتيبه الولادي، وفئته العمرية، ومستوى الوالدين التعليمي وأوضاعهم الاقتصادية بتطور تبني الدور الوالدي لدى أفراد عينة الدراسة، انطلاقا من افتراض مفاده أن غياب الظروف المناسبة لنمو الأطفال والمراهقين في بيئة سليمة وصحية توفر لهم نماذج ملائمة قادرة على تحمل مسؤولياتها، وترعى حقوقهم وتتيح لهم العيش في ظروف ملائمة كبقية الأطفال والمراهقين، يرتبط بتطور مختلف أشكال سوء التوافق وأعراض الاضطراب النفسي.

وسوف ينصب اهتمام الدراسة الحالية في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- هل توجد فروق دالة بين متوسطات درجات المراهقين أبناء المطلقين و أبناء غير المطلقين على استبانة تبني الدور الوالدي PQ؟
- هل توجد فروق دالة بين متوسطات درجات المتبنين وغير المتبنين على أبعاد قائمة الأعراض المختصرة (BSI)؟
- ما المتغيرات الديموغرافية الأكثر تنبؤا بتطور تبني الدور الوالدي؟

أهمية الدراسة

يتوقع أن توجه نتائج الدراسة اهتمام المتخصصين النفسيين والمعالجين الأسريين على وجه الخصوص إلى ظاهرة تبني الدور الوالدي، والأعراض النفسية المصاحبة لها، سيما وأن الحاجة إلى الاهتمام بقضايا الأسرة أصبحت من الأمور الجوهرية في المجتمعات المعاصرة؛ نظرا لضخامة التحديات الناجمة عن تعقد شروط الحياة، والتطور السريع وتبعاته على منظومة القيم الاجتماعية.

كما يتوقع أن تسهم نتائج الدراسة في توجيه اهتمام ذوي العلاقة إلى بناء البرامج الوقائية التي تستهدف الأسر التي تعرضت للتفكك بسبب الطلاق، أو تلك التي تسود فيها مظاهر العنف أو المشكلات الناجمة عن تخلي أحد الوالدين أو كليهما عن القيام بدوره وتحمل مسؤولياته اتجاه أفراد أسرته؛ مما يساعد في توجيه الجهود بهدف تثقيف مقدمي الرعاية حول هذه المسألة؛ للحد من النتائج السلبية التي تترافق مع ظهورها.

ونأمل أن تحفز نتائج الدراسة وأدواتها الباحثين والدارسين إلى إجراء مزيد من الاستقصاء والبحث حول ظاهرة التبني والعوامل المتصلة بها.

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- الكشف عن دور الطلاق في تطور ظاهرة تبني الدور الوالدي لدى المراهقين.
- بيان الأعراض النفسية التي يمكن أن ترتبط بتطور ظاهرة تبني الدور الوالدي لدى الفئات المتبنية للأدوار الوالدية.
- الكشف عن المتغيرات الديموغرافية المنبئة بتطور تبني الدور الوالدي عند المراهقين.

حدود الدراسة ومحدداتها

- الحدود المكانية: اقتصرت عينة الدراسة على فئة المراهقين أبناء المطلقين وغير المطلقين في منطقة المثلث الجنوبي في فلسطين.

- الحدود الزمانية: تم تطبيق الدراسة في الفترة الواقعة بين شهري نيسان وأيار من عام 2014.
- المحددات: تتحدد إمكانية تعميم النتائج بمدى تمثيل العينة لمجتمع الدراسة؛ حيث اقتصرت العينة على أبناء المطلقين من منطقة المثلث الحنوبي في فلسطين.

مصطلحات الدراسة

تبني الدور الوالدي Parentification: وفقا لمينوشين وزملائه (Minuchin, Montalvo, Guerney, Rosman ,& Schumer, 1967) يعرف تبني الدور الوالدي بأنه "العملية التي يقوم فيها الوالد، أو القائم على رعاية الأبناء، بالتنازل عن تنفيذ الواجبات والوظائف الأسرية المنوطة به، ونقل هذه الوظائف إلى الأبناء". ويعرف إجرائيا بالدرجة على مقياس تبني الدور الوالدي (Sessions & Jurkovic, 1986).

الأعراض النفسية Psychological Symptoms: هي بمثابة انحرافات ملحوظة في شعور المرء وتفكيره وسلوكه وتفاعله مع الآخرين عما يعد طبيعياً ومعتاداً، ولا تكون الأعراض ناجمة عن حدوث تلف في تركيب الدماغ، ولا تنتج بالضرورة عن اختلال عضوي، ولا تستند إلى أساس تشريحي معروف، ويشترط تشخيصها أن تتواجد بنمط محدد حتى تشكل تعريفاً لحالة نفسية، أومتلازمة نفسية، أو اضطرابات عقلية، أو أمراض نفسية (Bolton, 2008). وتعرف إجرائيا بالدرجات على أبعاد قائمة الأعراض المختصرة BSI.

الإطار النظري وأدب الموضوع

يعد مينوشين (Minuchin, 1974) أول من وضع مصطلح الطفل الوالدي parental child عند إجرائه بحوثا في المناطق الريفية التي كانت تعاني من أوضاع اقتصادية حرجة. وقد عرف الأطفال الوالديين parental children "بأنهم الأطفال الذين توكل إليهم السلطة الوالدية؛ ليقوموا بأداء أدوار وظيفية تتعلق بقيادة الأسرة، والسيطرة على ما يحدث في داخلها". وقد ركز الباحثون على النتائج التكيفية للوظائف التي يؤديها الأطفال الوالديون في الأسر التي تعاني من ضيق الأوضاع الاقتصادية. وصيغ مفهوم تبني الدور الوالدي آنذاك استنادا إلى المهمات المادية التي يقوم بها الأفراد؛ لضمان راحة الأسرة وبقائها.

ويعود مصطلح تبني الدور الوالدي إلى العالمين بوشورميني- ناجي وسبارك (Boszormenyi-Nagy & Spark, 1973) اللذين استخدماه لوصف أنماط التفاعلات الأسرية الإشكالية التي تنعكس فيها أدوار الآباء مع أدوار أطفالهم، فيتبنى الآباء أدوار أطفالهم ويقوم الأطفال بأدوار الآباء، ويضحون باحتياجاتهم من أجل أن يتمكنوا من تحقيق مطالب الآباء. وبذلك يتوجب على الطفل أن يكون متواجدا عاطفيا لتقديم الدعم العاطفي للأب حتى مع عدم توفر الأب لتقديم المساندة الانفعالية له؛ مما يؤدي إلى تطور حالة مزمنة من القلق والمعاناة distress لدى بعض الأطفال المتبينين للأدوار الوالدية parentified children (Bowen, 1978; Briere, 1992; Cicchetti, 2004).

ووفقا لمينوشن وزملائه (Minuchin, et al., 1967) فقد لا يقود تبني الطفل للدور الوالدي بالضرورة إلى نتائج هدامة،ولاسيما في حال ترافق ذلك مع دعم كامل من جهة الأسرة، وفي حال لم تكن الأعباء والمسؤوليات التي يتحملها الطفل المتبني للدور الوالدي كبيرة وتفوق إمكاناته. وفي هذا السياق نجد يوركوفيك (Jurkovic, 1997) يتحدث عن نوعين من تبني الدور الوالدي: التكيفي adaptive ، والهدام destructive؛ ويتطور تبني الدور الوالدي التكيفي عندما تفرض على كاهل المتبني العديد من المسؤوليات، ولكنه يحظي في الوقت ذاته بتشجيع الأسرة واعترافها وتقديرها لما يؤدي من مهام، كما يحظي بتشجيع المجتمع وتقديره، شريطة ألا تفوق مطالب الدور ومهامه قدرة المتبني. أما تبني الدور الوالدي الهدام فهو التبني الذي يتضمن تحملاً مفرطاً لمسؤوليات وأعباء لا تتناسب مع عمر المراهق، أو الطفل، أو خصائص المرحلة التطورية التي يمر بها، وعندما تشكل هذه المسؤوليات جزءاً من هويتة الذاتية وتعريفه لذاته، أو تعد انتهاكاً لحقوقه الشخصية والعائلية.

ومن أجل التمييز بين كون الدور الوالدي الذي يتبناه الابن هداما أو تكيفيا وضع الباحث يوركوفيك (Jurkovic, 1997) تسعة معايير للتمييز بين النوعين. تعكس المعايير الأربعة الأولى خصائص الدور الوالدي المتبنى، أما المعايير الخمسة الأخرى فتعكس أبعاداً هامةً للسياق context الذي يظهر فيه تبني الدور الوالدي، وهذه المعايير هي: وضوح الدور وعلانيته، ونمط واجبات الدور، وحجم المسؤولية، وموضوعات الرعاية، والملاءمة مع العمر، والاستدخال، والحدود الأسرية، والشرعية الاجتماعية، والأخلاقيات.

ويشير الباحثان بوشورميني وسبارك (Boszormenyi-Nagy & Spark, 1973) إلى أن التوازن في تبادل الأدوار داخل الأسرة يعد عاملا هاما في اعتبار تبني الدور الوالدي مرضيا أو هداما (pathological or destructive). وبعكس المتوقع يشير بوشورميني- ناجي وسبارك إلى ضرورة تبني الدور الوالدي بدرجة معينة؛ حتى يتمكن الأبناء من تطوير الجانب العاطفي والدور المسؤول.

وبينما ركز ميونيشين على الأدوار المتعلقة بالجانب المادي instrumental ركز ناجي وزملاؤه على الجانبين: العاطفي emotional، والمادي في تبني الدور الوالدي.

أما كاربل (Karpel, 1977) فتناولت النتائج السلبية لتبني الدور الوالدي، وأطلقت على الطفل الذي يتبنى الدور الوالدي الموضوع المخلص loyal object، ووصفت علاقة الابن بوالديه بأنها علاقة استغلال يضطر من خلالها الابن إلى الارتباط بوالديه ارتباطا مخلصا. كما بحثت كاربل (Karpel, 1977) النتائج النفسية السلبية لتبني الدور الوالدي على الجانب النفسي والسيكولوجي للطفل.

تبني الدور الوالدي في ضوء النظريات النفسية

قدمت النظريات النفسية ونظريات العلاج الأسري إيضاحاً للظروف التي تسهم بتطور ظاهرة تبني الدور الوالدي عند الأطفال والمراهقين، فنظرية النظم البنائية في العلاج الأسري

Structural Family Systems Theory (Minuchin, 1974) تشير إلى ازدياد احتمالية تطور ظاهرة تبني الدور الوالدي في الأسر التي تتعرض فيها دينامية العلاقة الزواجية والوالدية إلى الضغوط؛ فالوالد الذي يعاني من شدة الخلافات الأسرية قد يتجه إلى الأطفال؛ للحصول على الدعم الانفعالي الذي تفتقر إليه العلاقة الزواجية القائمة، وهو ما أيدته دراسة أجراها جاكوبفيتز وزملاؤه (Jacobvitz, Riggs & Johnson, 1999) لمعرفة أسباب ظاهرة تبني الدور الوالدي؛ إذ وجدوا أن التحالفات coalitions التي تنشأ بين الآباء وأبنائهم في الخلافات الأسرية قد تكون أحد الأسباب لتطور ظاهرة تبني الدور الوالدي.

ووفقا لنظرية العلاج الأسري عبر الأجيال Multigenarational Family System Theory (Bowen, 1976)، فإن التوتر الأسري وما يترتب عليه من أساليب تستخدمها الأسرة لتخفيف مستوى القلق قد يدفع الوالدين أو أحدهما إلى التنازل عن وظيفته الوالدية والاستسلام للطرف الآخر. وفي الأسر التي يكثر فيها الصراع بين الزوجين، ولاسيما تلك الأسر التي تتعرض للطلاق فإنها تفقد أحد الوالدين؛ مما يؤدي الى سوء أداء الوظائف الوالدية لدى الزوجين. في هذه الحالة يتقاعس الطرف المستسلم عن أداء أدواره مما يدفع الآخرين (الأبناء أو أحدهم) إلى تحمل الأعباء الأسرية والأدوار الوالدية. وقد يقوم الوالدان، أو أحدهما، بالتركيز على أحد الأبناء؛ ليصبح كبش الفداء scapegoat، أو الضحية. ويقوم الآباء بإسقاط توتراتهما على الأبناء مما يدفع الابن إلى تبني الدور لتخفيف مستوى القلق الناجم عن هذا الإسقاط. ويفسر أنصار هذه النظرية تبني الدور الوالدي من خلال مصطلح التمايز الذاتي self differentiation للفرد في الأسرة، ويفترض باوين (Bowen, 1976) أنه كلما قل تمايز الفرد زادت احتمالية اندماجه مع السلوكيات والقرارات الوالدية، وذلك يعود إلى قابلية الفرد الذي لديه مستوى تمايز ذاتي منخفض إلى الانصهار مع الآخرين؛ مما يقوده الى تبني السمات الوالدية والتعامل مع القلق من خلالها.

وبحسب نظرية التعلق الوجداني Attachment Theory (Bowlby, 1977) يعود انعكاس الأدوار في الأسرة إلى النموذج الذي يتوفر للطفل، والذي يعكس سلوكيات معاملة الوالدين التي تظهر حاجة الوالد إلى الرعاية عوضاً عن قيامه بتلبية احتياجات الطفل، من نحو الشعور بالأمن، فيتعلم الطفل أن يكبت حاجاته التعلقية attachment needs، ويبدأ بالاهتمام بتلبية الاحتياجات العاطفية والوجدانية للقائم على رعايته. وينجم عن عدم إشباع هذه الحاجات مشاعر القلق وانعدام الشعور بالأمن. ونتيجة لهذه التجارب يطور الطفل نماذج عمل داخلية internal working model (IWM)، إزاء الذات والآخرين، وتعكس هذه النماذج الطريقة التي يستجيب بها الآخرون للطفل، وتشير في محتواها إلى عدم توفر الآخرين. وتتعزز عند الطفل الحاجة إلى لبحث عن التقارب proximity-seeking attachment behavior والتي يعبر عنها من خلال السلوكيات المتمثلة بتقديم الرعاية للوالدين؛ لضمان استمرار التقارب معهما، كما تحبط احتياجات الطفل في البحث عن الشعور بالأمن لتنشأ لديه ظاهرة تبني الدور الوالدي.

أما أنصار الاتجاه السيكوديناميكي (Psychodynamic Paradigm) فيرون أن الأطفال الذين يتعرض آباؤهم إلى الصراعات والظروف الضاغطة، من نحو الطلاق، يقومون بمواجهة مشاعر القلق الناجمة عن الخبرات المؤلمة عن طريق آلية الكبت repression، وبذلك يعيقون أي رغبة في الوصول إلى مستوى الوعي، ويكبتون الخبرات المؤلمة، ومنها الخبرات الناجمة عن الصراعات التي تسبق طلاق الوالدين، من نحو الحاجة إلى الأمن المفقود في العلاقة مع الوالدين، وبذلك تستمر هذه الخبرات المكبوتة في توجيه سلوك الفرد، وهو ما يتضح في السلوكيات الوالدية التي يتوحد معها لتصبح جزءاً من تعريفه لذاته. ويتبنى الابن الدور الوالدي بحيث يقوم بالتوحد identification مع سلوكيات الوالدين، ويقوم الأبناء في هذه الحالة بالتبني اللاشعوري لسمات ونشاطات شخص آخر، هو الأب، أو الأم، على الأغلب.

أدب الموضوع

تبين لدى مراجعة الأدب النظري حول موضوع تبني الدور الوالدي وجود اهتمام معاصر بدراسة الموضوع في عدد من الثقافات الغربية، ولم يكشف البحث عن وجود دراسات تناولت هذا المفهوم في المراجع، العربية وفيما يأتي عرض لبعض هذه الدراسات ونتائجها.

قام مارتن (Martin, 1995) بدراسة هدفت إلى مقارنة مستويات تبني الدور الوالدي لدى نساء متزوجات ممن نشأن في أسر مطلقة، وغير مطلقة، وعلاقة ذلك بالأعراض النفسية. تكونت عينته من (150) امراة من عائلات مطلقة وعائلات غير مطلقة من أصول متنوعة بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد أكملت النساء مجموعة استبانات شملت: تبني الدور الوالدي العاطفي، وسمات القلق، والاكتئاب، والحساسية البين شخصية، والكفاءة البين شخصية، إضافة إلى استبانة المعلومات الشخصية. وكشفت نتائج الدراسة عن مستويات عالية من تبني الدور الوالدي العاطفي عند النساء اللواتي ينتمين الى أسر مطلقة، وقد تبين أن تبني الدور الوالدي يمكن أن يخفف من الآثار السلبية الناجمة عن الطلاق، وأن تبني الدور الوالدي العاطفي يخفف من الآثار السلبية التي يخلفها اضطراب الأمهات على بناتهن، وكشفت النتائج عن وجود علاقة طردية إيجابية بين تبني الدور الوالدي وأعراض الاكتئاب، والنقد الذاتي، والوعي البين شخصي، وقلق الانفصال. وعن وجود آثار إيجابية وسلبية لتبني الدور الوالدي على أداء الفتيات في مجال العلاقات البين شخصية. ولم تكشف الدراسة عن فروق في التبني تبعا لاختلاف أعمار المشاركات.

وأجرى شيمينغ (Schimming, 2000) دراسة هدفت إلى معرفة العلاقة بين تبني الدور الوالدي والأعراض النفسية لدى عينة من أبناء الأسر المطلقة المنفصلين عن آبائهم. صممت الدراسة للكشف عن النتائج السلبية والإيجابية لتبني الدور الوالدي على أداء المراهقين النفسي والاجتماعي. واستخدمت قائمة تبني الدور الوالدي Parentification Inventory لهذا الغرض. تكونت عينة الدراسة من (236) طالبا في المرحلة الإعدادية والثانوية من شمال غربي ولاية (أوهايو) الأمريكية، ومن أعراق متنوعة؛ إفريقية، وآسيوية، وأوروبية، تراوحت أعمارهم من 14-18 سنة، (54) من أبناء المطلقين، و(105) من أسر متوافقة و(38) تزوج آباؤهم مرة

أخرى أو يعيشون مع شريك، و(39) من أسر متنوعة. استجاب جميع المشاركين في الدراسة على استبانة التقرير الذاتي التي تقيم علاقاتهم مع آبائهم المنفصلين وأعراضهم النفسية والاجتماعية. أشارت نتائج الدراسة إلى وجود علاقات ضعيفة بين تبني الدور الوالدي والأعراض النفسية والاجتماعية لدى المراهقين، كما بينت النتائج وجود مقدرة لدى أبناء المطلقين على إدارة النزاع إلى حد ما، إضافة إلى قدرتهم على تقديم الدعم العاطفي والنصح للآخرين في علاقاتهم، ولم تكشف الدراسة عن فروق في أداء المشاركين الاجتماعي والنفسي في ضوء اختلاف نوع الأسرة.

أما دراسة يوركوفيك وزملائه (Jurkovic, Thirkield and Morrel, 2001) فقد هدفت إلى تقصي العلاقة بين تبني الدور الوالدي وطلاق الوالدين في عينة من (68) شخصا (35) أبناء مطلقين و(35) أبناء غير مطلقين متوسط أعمارهم (23.10) عاما في جامعة Public Urban. كشفت نتائج تحليل التباين المتعدد MANCOVA عن وجود تبني الدور الوالدي العاطفي والمادي، والشعور بعدم العدالة لدى عينة أبناء المطلقين مقارنة بأبناء غير المطلقين.

كما هدفت دراسة أخرى (Tara, Marcie, Morey, Mark & Rober, 2008) أجريت على عينة من ثلاثة وثمانين من الأزواج وأبنائهم المراهقين في الولايات المتحدة إلى الكشف عن علاقة الصراعات الزواجية بتطور تبني الدور الوالدي لدى الأبناء، ومشاعر التهديد، وعدم القدرة على إقامة علاقات صداقة مع الأقران. كشفت عمليات تحليل التباين المتعدد وجود علاقة بين الصراعات الزواجية وتبني الدور الوالدي لاسيما لدى المراهقين الذين حصلوا على درجات عالية على مقياس إدراك الأطفال لوجود الصراع بين الوالدين Children's Perception of Interparental Conflict.

أما دراسة هوبر وزملائه (Hooper, Doehler, Jankowski & Tomek, 2012) فقد أجريت على عينة من (51) مراهقا وأحد والديهم: الأب، أوالأم، من طلبة الكلية الأمريكية، إذ عانى أحد الوالدين من الإدمان على المخدرات، أو الكحول أو من أعراض اكتئابية. هدفت الدراسة إلى الكشف عن علاقة تبني الدور الوالدي لدى الأبناء مع أعراض الاكتئاب وإساءة استخدام المواد. بينت النتائج وجود علاقة ارتباطية قوية بين سوء استخدام المراهقين للكحول وتبني الدور الوالدي. أما بالنسبة الى الأعراض الاكتئابية فلم تكشف النتائج عن علاقة ارتباطية دالة.

وأجرت أريدوندو (Arredondo, 2013) دراسة هدفت إلى بحث العلاقة بين تبني الدور الوالدي والتوافق النفسي لدى المراهقين الذين يعيشون مع أمهاتهم المطلقات. تكونت عينة الدراسة من (68) مطلقة أمريكية من أصول مكسيكية، ممن لديهن على الأقل طفل أو مراهقٌ ممن تراوحت أعمارهم بين 11-18 سنة. أخذت الدراسة وجهات نظر الأمهات حول مقياسي تبني الدور الوالدي والتكيف النفسي لدى الأبناء، فكشفت النتائج تأكيد الأمهات المطلقات على العلاقة الإيجابية بين تبني الدور الوالدي وتوافق الأبناء النفسي، بالإضافة إلى تأكيدهن على

أهمية العوامل الشخصية والتعليمية في حدوث تأثير أفضل لتبني الدور الوالدي على التوافق النفسي عند أبنائهن المراهقين.

يتضح من استعراض الدراسات أن أغلبيتها قد توصلت إلى ارتباط الظروف الأسرية الصعبة بتطور ظاهرة تبني الدور الوالدي عند الأبناء، وإلى ارتباط هذه الظاهرة بالأعراض النفسية في الأغلب.

الطريقة والإجراءات

مجتمع الدراسة

يضم مجتمع الدراسة جميع المراهقين أبناء المطلقين وغير المطلقين في منطقة المثلث الجنوبي في فلسطين التي تضم باقة الغربية والطيبة والطيرة وقلنسوة وجلجولية وجت وكفر قاسم وكفر برا. والبالغ عددهم 9000 مراهق (التقرير الصادر عن دائرة الإحصاءات العامة المركزية 2014-2015).

عينة الدراسة

تكونت عينة الدراسة من 200 فرد من منطقة المثلث الجنوبي في فلسطين، منهم (100) مراهق ومراهقة من أبناء المطلقين اختيروا وفق الآتي: تم اختيار عينة متاحة من أبناء المطلقين وعددهم (40) مراهقا ومراهقة ممن يتلقون الخدمات النفسية الصحية في المراكز التابعة لدائرة الشؤون الاجتماعية، أما بقية أفراد عينة أبناء المطلقين (60) مراهقا ومراهقة، فقد جرى اختيارهم- بمساعدة المرشدين الذين يعملون في المدارس الإعدادية والثانوية التابعة لمنطقة المثلث الجنوبي- من طلبة الصفوف السابع وحتى الثاني عشر. كما اختير (100) من أبناء غير المطلقين من طلبة هذه المدارس لأغراض المقارنة. وقد اتبع في اختيار مجموعة المقارنة الطريقة العشوائية البسيطة، إذ أخذت قوائم الطلبة وسحبت عينة المقارنة منها عن طريق ترك أربع أسماء وأخذ الاسم الخامس. ولم يتسن اتباع الطريقة العشوائية في اختيار أبناء المطلقين؛ لصعوبة حصرهم. وجدول (1) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة على متغيراتها.

جدول (1): توزيع أفراد عينة الدراسة ن=200.

المتغير	الفئات	التكرار	النسبة
الفئة	مراهقون أبناء مطلقون	100	%50
	مراهقون أبناء غير مطلقين	100	%50
	المجموع	**200**	**%100**
جنس المراهق	ذكر	98	%49
	أنثى	102	%51
	المجموع	**200**	**%100**

... تابع جدول رقم (1)

المتغير	الفئات	التكرار	النسبة
الفئة العمرية	13-15	163	%81.5
	16-19	37	%18.5
	المجموع	200	%100
الترتيب الولادي	الأول	59	%29.5
	الثاني	53	%26.5
	الأصغر	19	%9.5
	غير ذلك (ثالث وما فوق)	69	%34.5
	المجموع	**200**	**%100**
المستوى الاقتصادي	متدني	41	%20.5
	مناسب	102	%51
	ممتاز	57	%28.5
	المجموع	**200**	**%100**
المستوى التعليمي للوالدين	ثانوية ودون	133	%66.5
	دبلوم	37	%18.5
	جامعة	30	15%
	المجموع	**200**	**%100**

أدوات الدراسة

استبانة تبني الدور الوالدي Parentification Questionnaire (Jurkovic & Sessions, 1986)

قام يوركوفيك وسيشين ببناء استبانة تبني الدور الوالدي (Jurkovic & Sessions, 1986) استنادا إلى مراجعة الأدب النظري والمفاهيم التي قدمها بوشورميني ناجي وسبارك (Boszormenyi-Nagy & Spark , 1973)، وإلى ملاحظات الباحثين (Goglia, Jurkovic, Burt & Burge-Callway, 1992) الإكلينيكية. تشتمل استبانة تبني الدور الوالدي على (42) فقرة تصف كل منها تبني الفرد في أسرته النووية للأدوار المتعلقة بالرعاية الوالدية. وتعتمد الاستبانة أسلوب التقرير الذاتي، وتكون الإجابة عن كل فقرة بالموافقة (درجة واحدة)، أو بالرفض (صفر)، ويتطلب تطبيق الأداة عشر دقائق.

إعداد الصيغة المترجمة من استبانة تبني الدور الوالدي

اتبع في ترجمة الأداة أسلوب الترجمة والترجمة العكسية (translation-back translation)؛ وذلك لضمان احتفاظ الفقرات بالمعنى الذي ورد في الصورة الأصلية للاستبانة،

بعد ذلك طلب من خمسة من المتخصصين في ميادين علم النفس تحكيمها من حيث صلاحية الفقرة ودقة صياغتها، وبناء على تقييمات المحكمين أجريت بعض التعديلات الطفيفة على بعض الصياغات دون أن يحدث ذلك أي تغيير يذكر في مضمونها.

تصحيح استبانة تبني الدور الوالدي

تحدد الدرجة على الاستبانة بجمع النقاط التي تلي فقرات الاستبانة البالغ عددها (42) فقرة، مع الأخذ بالاعتبار الفقرات التي صيغت بطريقة عكسية، وهي التي تحمل الأرقام الآتية: 1، 3، 7، 8، 12، 19، 20، 21، 22، 29، 31، 32، 34، 36، 37، 39، 40 (Williams, 2010). تتراوح الدرجة على الأداة بين صفر، وتشير إلى عدم وجود الظاهرة، و42، وتشير- أو ما يقرب منها- إلى تبني المستجيب للدور الوالدي بدرجة كبيرة، وإلى تبني الدور الوالدي الهدام

صدق استبانة تبني الدور الوالدي Parentification Questionnaire

قدمت عدة دراسات (Goglia, Jurkovic, Burtand Burg-Callaway, 1992; Sessions, 1986; Wells & Jones, 1998) دلالات كافية عن صدق المحتوى، والصدق التمييزي، وصدق المحك للاستبانة (Jurcovic & Sessions, 1986). كما قام لاكي (Lackie, 1983) بحساب الصدق التقاربي convergent validity للاستبانة، من خلال مقارنة النتائج التي حصل عليها المفحوصون مع متغيرات ذات صلة بمفهوم تبني الدور الوالدي وهما: تشويه الحدود عبر الأجيال generational boundary distortion، واختيار مهنة مقدم الرعاية في الأسرة caretaking profession. كشفت النتائج عن تمتع استبانة تبني الدور الوالدي بمستويات صدق تقاربي عالية.

وأشارت دراسات أخرى (Chase, et al., 1998; Goglia et al., 1992) أجريت على استبانة تبني الدور الوالدي الخاصة بالراشدين وتلك الخاصة بالشباب - وهما مشتقتان من استبانة تبني الدور الوالدي - إلى تمتع الأداتين بخصائص سيكومترية مُرضية. وبينت دراسة أخرى (Godsall, Emshoff, Jurkovic, Anderson & Stanwyck, 2004) أن الدرجات على استبانة تبني الدور الوالدي PQ-Y كانت مسؤولة عن معدلات تباين أكبر في مستويات تقدير الذات self-esteem لدى المراهقين مقارنة بالمتغيرات الأخرى التي شملتها الدراسة، بما في ذلك متغير إساءة استخدام الآباء للمواد.

وللتأكد من ملاءمة الاستبانة لأغراض الدراسة الحالية حُسبت معاملات الاتساق الداخلي للاستبانة، حيث استخرجت معاملات ارتباط الدرجة على الفقرة مع الدرجة الكلية من البيانات المتجمعة من تطبيق الاستبانة على عينة تكونت من (30) مراهقا من مجتمع الدراسة، ومن خارج عينتها، فتراوحت قيم معاملات ارتباط الدرجة على الفقرة مع الدرجة الكلية (معاملات الاتساق الداخلي) بين (0.73-0.35)، ويوضح جدول (2) قيم معاملات ارتباط بيرسون (Pearson Correlation).

جدول(2): معاملات الارتباط بين الدرجة على الفقرة والدرجة الكلية في استبانة تبني الدور الوالدي ن=30.

رقم الفقرة	معامل الارتباط مع الدرجة الكلية	رقم الفقرة	معامل الارتباط مع الدرجة الكلية	رقم الفقرة	معامل الارتباط مع الدرجة الكلية
1	**0.73	15	**0.60	29	*0.36
2	*0.43	16	*0.41	30	**0.46
3	*0.46	17	*0.43	31	*0.39
4	*0.38	18	*0.37	32	*0.37
5	*0.42	19	*0.39	33	*0.41
6	*.36	20	**0.59	34	*0.44
7	*0.35	21	*0.36	35	*0.42
8	*0.39	22	**0.73	36	*0.37
9	**0.68	23	*0.45	37	*0.38
10	**0.50	24	*0.39	38	**0.62
11	*0.40	25	*0.37	39	*0.39
12	*0.39	26	*0.41	40	*0.38
13	**0.65	27	*0.36	41	*0.42
14	*0.42	28	**0.47	42	*0.37

** مستوى الدلالة α = 0.05 * مستوى الدلالة α = 0.01

ثبات استبانة تبني الدور الوالدي

كشفت الدراسات (Goglia et al., 1992; Sessions, 1986; Wells & Jones, 1998) عن تمتع استبانة تبني الدور الوالدي (Jurcovic & Sessions, 1986) بمعاملات استقرار واتساق داخلي مُرضية؛ ففي دراسة قام بها كل من جوجليا وزملائه (Goglia et al., 1992) للكشف عن الاتساق الداخلي لاستبانة تبني الدور الوالدي من البيانات المتجمعة من تطبيق الأداة على (200) طالب جامعي في قسم علم النفس في جامعة جورجيا في الولايات المتحدة، بلغت قيمة معامل ارتباط الفقرات (كرونباخ ألفا) مع الدرجة الكلية (الاتساق الداخلي) (0.83). ولدى حساب قيمة الثبات من البيانات بطريقة التجزئة النصفية بلغت قيمة معامل الاتساق Spearman Brown بعد التصحيح (0.85).

كما قام كل من كليريسي وفانين (Clerici & Vanin, 2001) بدراسة؛ لفحص ثبات استبانة تبني الدور الوالدي على عينة من (98) راشدا من أبناء المدمنين على الكحول الذين يتلقون خدمات نفسية في مراكز الصحة النفسية في منطقة بادوفا Padova في إيطاليا، منهم

(48) ذكورا و(50) إناثا، تراوحت أعمارهم بين (18-35) عاما، ومجموعة مقارنة بلغ عدد أفرادها (60). بلغت قيمة معامل ارتباط الفقرات مع الدرجة الكلية (الاتساق الداخلي) (0.837) ومعامل الثبات المستخرج بطريقة التجزئة النصفية سبيرمان براون Spearman Brown بعد التصحيح (0.875).

كما قام جوجليا وزملاؤه (Goglia et al., 1992) بتطبيق المقياس على عينة من (43) طالبا من طلاب الجامعات في الولايات المتحدة، فبلغت قيمة معامل الثبات المصححة (سبيرمان براون) بين الدرجات على الفقرات الفردية والزوجية (0.85).

وللكشف عن قيمة معامل ثبات الأداة لأغراض الدراسة الحالية اتبعت طريقة تطبيق وإعادة تطبيق الاختبارtest-re-test بفاصل زمني مدته أسبوعان بعد التطبيق الأول. تكونت عينة الثبات من (30) طالباً وطالبة من مجتمع الدراسة ومن خارج عينتها. بلغت قيمة معامل ارتباط بيرسون المحسوب من البيانات المتجمعة من تطبيق الأداة في كلا الموقفين (0.85).

كما استخرجت قيمة معامل الثبات باستخدام طريقة التجزئة النصفية من البيانات المتجمعة من عينة الدراسة المكونة من (200) مراهق ومراهقة (أبناء مطلقين وغير مطلقين). فبلغت قيمة كرونباخ ألفا (0.79).

قائمة الأعراض المختصرة: Brief Symptom Inventory- BSI (. Derogatis, 1992)

وصف الأداة وتصحيحها

هي الصيغة المختصرة لقائمة الأعراض التسعين المعدلة (The Symptom Checklist-90-Revised- SLC-90-R). تتكون قائمة الأعراض المختصرة (BSI) من (53) فقرة، تعتمد أسلوب التقرير الذاتي self report technique ، وتستخدم في المواقع الطبية الإكلينكية، والمواقع غير الطبية؛ للكشف عن الأعراض النفسية. كما تعد واحدة من سلسلة اختبارات تقدير الأمراض النفسيةPsychopathology Rating Scale Series . وتصلح للاستخدام مع الأشخاص من عمر ثلاث عشرة سنة وأكثر، يتطلب تطبيقها ثماني إلى عشر دقائق. يلي كل فقرة من الفقرات تدريج رباعي يتراوح بين الدرجة (0) وتعني (أبدا) والدرجة (4) وتعني (دائما). وتحتسب الدرجة على قائمة الأعراض المختصرة بجمع الدرجات التي حصل عليها الفرد على كل بعد من أبعاد القائمة الإكلينيكية التسعة الآتية:

- **الأعراض السيكوسوماتية** Somatization. تتراوح الدرجة على هذا البعد بين 0 إلى 28.
- **الوسواس القهري** Obsessive Compulsiv. والدرجة على هذا البعد تتراوح بين 0 و24.
- **الحساسية البين شخصية** Interpersonal Sensitivity. والدرجة على هذا البعد تتراوح بين 0 و16.

- **الاكتئاب** Depression. والدرجة على هذا البعد تتراوح بين 0 و 24.
- **القلق** Anxiet. والدرجة على هذا البعد تتراوح بين 0 و 24.
- **العدائية** Hostility. والدرجة على هذا البعد تتراوح بين 0 و 16.
- **القلق الرهابي** Phobic Anxiety. والدرجة على هذا البعد تتراوح بين 0 و 16.
- **الأفكار البارانوية** Paranoid Ideation. والدرجة على هذا البعد تتراوح بين 0 و 20.
- **الذهانية** Psychotism. والدرجة على هذا البعد تتراوح بين 0 و 20.

ولأغراض الدراسة استخدمت صورة معدلة عن قائمة الأعراض المختصرة (Daoud & Abojedi, 2010)، اشتملت استنادا إلى نتائج التحليل العاملي الذي أجراه الباحثان على 51 فقرة، بعد حذف فقرتين من القائمة؛ لانخفاض درجة تشبعهما عن 0.30 وهاتان الفقرتان هما: فقرة (16) "أشعر بالخوف عند السفر بالباصات والقطارات"، وفقرة (50) "أتدخل بشكل متكرر في احتدامات ونقاشات مع الآخرين" .

صدق قائمة الأعراض المختصرة (BSI)

استهدفت دراسة ديروجاتيز وزملائه (Derogatis, Rickels, & Rock, 1976) عينة مكونة من 209 من المتطوعين يعانون من أعراض نفسية مختلفة؛ بهدف استخراج الصدق التقاربي، وذلك من خلال إعادة تحليل البيانات التي تجمعت من دراسة سابقة قارنت بين قائمة الأعراض النفسية SCL-90-R وقائمة مينسوتا المتعددة الأوجه لقياس الشخصية Minnesota Multiphasic Personality Inventory (MMPI). أشارت نتائج التحليل إلى قيم صدق تراوحت بين (0.34) لبعد القلق الرهابي، و(0.54) لبعد الاكتئاب. أما عن صدق الصورة المعدلة من قائمة الأعراض المختصرة فقد قام داود وأبوجدي (Daoud & Abo Jedi, 2010) بفحص صدق بناء الأداة باستخدام طريقة التحليل العاملي. إذ قاما بإخضاع البيانات المتجمعة من تطبيق القائمة على (647) طالبا في الجامعات الأردنية، و(315) شخصا ممن يراجعون المراكز الطبية إلى إجراءات التحليل العاملي التوكيدي لاختبار مدى مطابقة البناء العاملي للصورة المترجمة من قائمة الأعراض المختصرة (BSI) مع البناء العاملي للصورة الأصلية. أسفرت نتائج التحليل العاملي عن بناء عاملي مطابق للبناء العاملي في الصورة الأصلية، وتم الإبقاء على العوامل كما وردت في الصورة الأصلية ولم تحذف سوى الفقرتين التي أشير إليهما بسبب انخفاض معاملات تشبعهما عن 0.30.

ولأغراض الدراسة الحالية استخرجت معاملات الارتباط بين الدرجات على كل فقرة من فقرات القائمة والدرجة الكلية من البيانات المتجمعة من تطبيق الأداة على 200 فرد من مجتمع الدراسة. كما استخرجت قيم معاملات الارتباط بين الدرجات على الفقرات والدرجة على البعد الذي تنتمي إليه، فكانت جميع معاملات الارتباط دالة إحصائيا، إذ تراوحت قيم معاملات ارتباط

الفقرات مع الدرجة الكلية بين (0.48-0.89)، وبين الدرجة على الفقرة والدرجة على البعد بين (0.59-0.93)، وجدول (3) يوضح النتائج.

جدول (3): معاملات الاتساق الداخلي لقائمة الأعراض المختصرة.

أبعاد قائمة الأعراض المختصرة	رقم الفقرة	معامل ارتباط الدرجة على الفقرة مع الدرجة على البعد	معامل ارتباط الدرجة على الفقرة مع الدرجة الكلية
الأعراض السيكوسوماتية	8	**0.69	**0.84
	22	**0.83	**0.65
	23	**0.80	**0.69
	24	**0.74	**0.61
	26	**0.65	**0.81
	27	**0.85	**0.69
	28	**0.80	**0.74
الاكتئاب	1	**0.79	**0.74
	3	**0.88	**0.89
	4	**0.81	**0.84
	7	**0.72	**0.69
	36	**0.89	**0.80
	52	**0.81	**0.71
القلق	12	**0.87	**0.78
	14	**0.83	**0.79
	15	**0.91	**0.84
	20	**0.82	**0.85
	29	**0.79	**0.71
	46	**0.70	**0.64
الحساسية في العلاقات البين شخصية	5	**0.68	**0.48
	6	**0.78	**0.77
	18	**0.63	**0.61
	41	**0.82	**0.69
العدائية	44	**0.77	**0.75
	45	**0.71	**0.66
	48	**0.82	**0.53
	49	**0.74	**0.51

... تابع جدول رقم (3)

أبعاد قائمة الأعراض المختصرة	رقم الفقرة	معامل ارتباط الدرجة على الفقرة مع الدرجة على البعد	معامل ارتباط الدرجة على الفقرة مع الدرجة الكلية
القلق الرهابي	13	**0.84	**0.73
	17	**0.74	**0.66
	19	**0.59	**0.71
	21	**0.85	**0.61
الأفكار البارانوية	39	**0.79	**0.76
	40	**0.80	**0.75
	42	**0.81	**0.81
	43	**0.93	**0.75
	53	**0.76	**0.74
الذهانية	2	**0.85	**0.86
	9	**0.83	**0.70
	10	**0.88	**0.77
	11	**0.87	**0.84
	37	**0.80	**0.61
الوسواس القهري	30	**0.75	**0.61
	31	**0.83	**0.56
	32	**0.65	**0.53
	33	**0.69	**0.70
	34	**0.61	**0.75
	35	**0.80	**0.82

*مستوى الدلالة = 0.05 **مستوى الدلالة = 0.01.

ثبات قائمة الأعراض المختصرة (BSI)

أجرت نانالي (Nunnally, 1970) دراسة هدفت الكشف عن معامل الاتساق الداخلي لقائمة الأعراض المختصرة (BSI)، وذلك عن طريق تطبيق معادلة كودر ريتشاردسون - 20 (Kuder Richardson-20) على الدرجات المستخلصة من عينة قوامها (719) مريضا من مراجعي العيادات الخارجية. كشفت النتائج عن معاملات ثبات تراوحت بين 0.71 على البعد الذهاني إلى 0.85 على بعد الاكتئاب. كما استخرجت قيم معاملات الثبات لأغراض الدراسة الحالية، وقد اتبعت طريقة تطبيق الاختبار وإعادة تطبيقه test-re-test بعد أسبوعين من التطبيق الأول على عينة مكوّنة من (30) طالباً وطالبة من مجتمع الدراسة، خارج عينتها. كما

حسب معامل الاتساق الداخلي من البيانات المتجمعة من تطبيق القائمة على أفراد عينة الدراسة البالغ عددهم (200) مراهق ومراهقة، فتراوحت قيم معاملات الثبات (الاستقرار) لأبعاد القائمة بين 0.82 لبعد الأفكار البرانوية و0.91 لبعد القلق. كما تراوحت قيم كرونباخ ألفا بين 0.72 لبعد العدوانية و0.90 لبعد القلق، وجدول (4) يبين قيم معاملات ارتباط بيرسون بين الدرجات التي حصل عليها أفراد عينة الثبات في موقفي التطبيق وقيم كرونباخ ألفا.

جدول (4): معامل ارتباط بيرسون لأبعاد قائمة الأعراض المختصرة.

المجال	ألفا كرونباخ ن=200	معامل ارتباط بيرسون ن= 30
الأعراض السيكوسوماتية	0.88	0.84
اضطراب الوسواس القهري	0.74	0.86
الحساسية البين شخصية	0.76	0.85
الاكتئاب	0.88	0.87
القلق	0.90	0.91
العدوانية	0.72	0.89
الرهاب	0.78	0.86
الذهانية	0.88	0.90
البارانوية	0.89	0.82

إجراءات الدراسة

بعد أن أعدت الأدوات بالصورة النهائية تم الالتقاء بالمسؤولين في دائرة الشؤون الاجتماعية والمدارس التي اختيرت للمشاركة في الدراسة لإيضاح أهداف الدراسة والاتفاق على إجراءات التطبيق. تلا ذلك االالتقاء بأفراد العينة إذ وزعت أداتا الدراسة عليهم، بعد تهيأتهم، وبيان طريقة الإجابة، والتأكيد على سرية المعلومات، وضرورة توخي الصدق والدقة في الإجابة، وحرية المشاركة، وجرى تطبيق الأدوات في مواقف جمعية في الصفوف، وبحضور الباحثة التي كانت تجيب عن استفسارات الطلبة، وقد أعطي الطلبة الوقت الكافي، إذ تطلبت الإجابة عن أداتي الدراسة (20) دقيقة تقريبا، واستمرت مدة التطبيق أسبوعين.

وقبل البدء بتفريغ الاستبانات استبعدت (15) استبانة، لعدم صلاحيتها، فكان عدد الاستبانات التي اعتبرت مستوفية لشروط الدراسة (200) استبانة من 215 استبانة، وبعد تدقيق الاستبانات تم تفريغ البيانات. واستخدم برنامج حزمة التحليل الإحصائي للعلوم الاجتماعية (statistical package for social sciences -spss) في معالجة البيانات وتحليلها. واستخدمت الإجراءات الوصفية والاستدلالية التي شملت حساب المتوسطات، واستخدام اختبار "ت" لعينتين مستقلتين للكشف عن دلالة الفروق بين المتوسطات، واختبار مربع كاي Chi-Square، ومعاملات الارتباط، وتحليل الانحدار اللوجستي الثنائي.

النتائج ومناقشتها

هدفت الدراسة الكشف عن الفروق بين المراهقين أبناء المطلقين ونظرائهم أبناء غير المطلقين في ظاهرة تبني الدور الوالدي parentification، وعن الفروق بين المتبنين للدور الوالدي وغير المتبنين في مجموعة من الأعراض النفسية الإكلينيكة، إضافة إلى الكشف عن القدرة التنبؤية لمتغيرات جنس المراهق، وترتيبه الولادي، وعمره، ومستوى الوالدين التعليمي وأوضاعهم الاقتصادية، وفيما يأتي عرض النتائج:

السؤال الأول: هل توجد فروق دالة بين متوسطات درجات المراهقين أبناء المطلقين وأبناء غير المطلقين على استبانة تبني الدور الوالدي PQ؟

للإجابة عن هذا السؤال حسبت المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات المراهقين أبناء المطلقين وغير المطلقين على استبانة تبني الدور الوالدي فتبين وجود فروق دالة بين متوسطات درجات المجموعتين على الاستبانة؛ إذ بلغت قيمة "ت" 11.065، وهذه القيمة دالة عند مستوى الدلالة α= 0.05، وجدول (5) يوضح النتائج:

جدول (5): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيم "ت" للكشف عن دلالة الفروق بين متوسطي درجات المراهقين أبناء المطلقين وغير المطلقين على استبانة تبني الدور الوالدي ن=200.

الاستبانة	العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	"ت"	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
تبني الدور الوالدي	أبناء غير المطلقين	100	18.50	4.941	11.065	198	0.000*
	أبناء المطلقين	100	27.11	6.012			

*مستوى الدلالة α = 0.05

ولحساب النسب المئوية فوق الوسيط الحسابي وتحته لتبني الدور الوالدي لفئتي المراهقين أبناء المطلقين وغير مطلقين استخدم اختبار مربع كاي، فاتضح أن ظاهرة تبني الدور الوالدي موجودة بنسبة 71% لدى المراهقين أبناء المطلقين في مقابل 22% عند أبناء غير المطلقين. يستدل من نتائج اختبار مربع كاي وجود فروق دالة في وجود ظاهرة تبني الدور الوالدي بين المراهقين أبناء المطلقين وأبناء غير المطلقين، إذ بلغت قيمة مربع كاي 48.25 =$\chi^2(1)$، وهذه القيمة دالة عند مستوى الدلالة 0.001.، وجدول (6) يوضح النتائج:

جدول (6): توزيع متغير تبني الدور الوالدي حسب متغير الحالة الاجتماعية للوالدين (مطلق\غير مطلق) ن=200

تبني الدور الوالدي	الحالة الاجتماعية للوالدين				الفروق
	أبناء المطلقين		أبناء غير المطلقين		
	N	%	N	%	
متبنين للدور الوالدي	71	%71.0	22	%22.0	$\chi^2(1)=$ 48.25***
غير متبنين للدور الوالدي	29	%29.0	78	%78.0	

***مستوى الدلالة $P < 0.001$

هذه النتيجة تتفق مع المنطق الذي يوضح الظروف التي تتطور فيها ظاهرة تبني الدور الوالدي؛ فطلاق الوالدين يؤدي إلى انهماك كل منهما بذاته؛ مما قد يعزز لديهما سلوكيات البحث عن الرعاية. وتظهر نتيجة لذلك السلوكيات المتمثلة بتقديم الرعاية من الأبناء إلى الآباء رغبة منهم في الحصول على التقارب proximity مع أحد الوالدين، وهذا بدوره يتيح المجال لتطور تبني الدور الوالدي عند الابن.

واستنادا إلى نظرية النظم الأسرية البنائية (Minuchin, 1974) التي تناولت تطور ظاهرة تبني الدور الوالدي في الأسر المفككة يتوجه الآباء إلى أبنائهم؛ للحصول على الدعم الانفعالي الذي تفتقر إليه العلاقة الزواجية القائمة؛ وفي حال وجود تفكك وخلافات زواجية يلجأ الآباء إلى إقامة التحالفات coalitions مع أبنائهم؛ فينضم الأب أو الأم إلى أحد الأبناء مشكلين قوة ضد الشريك الآخر من أجل تحقيق التوازن.

كما يمكن تفسير النتيجة في ضوء نظرية العلاج الأسري عبر الأجيال (Bowen,1976) في طرحها لعمليات الإسقاط الأسرية؛ إذ يقوم الآباء في الأسر التي تتعرض إلى الطلاق بإسقاط المخاوف والقلق والقضايا العالقة المتعلقة بعملية الطلاق على الأبناء. وفي الأسر التي تتعرض للطلاق تفقد الأسرة أحد الوالدين؛ مما يقود إلى سوء آداء الوظائف الوالدية لدى الزوجين، ويدفع الابن لتبني الدور الوالدي؛ لتخفيف مستوى القلق الناجم عن هذا الإسقاط.

ولا بد من الإشارة استنادا إلى نظرية باوين (Bowen, 1976) إلى أن ارتفاع مستويات القلق عند الأبناء - في الأسر التي تكثر فيها الصراعات التي تسبق الطلاق على الأغلب- يعيق من قدرتهم على تحقيق التمايز differentiation الذاتي؛ مما يزيد من انصهارهم مع الوالدين في محاولة منهم لتنظيم regulate مشاعرهم وقدرتهم على التعامل معها، وقد يؤدي ذلك إلى تبني السمات الوالدية والتعامل مع القلق من خلالها.

ويمكن أن نجد ما يدعم هذا التفسير في نظرية التعلق الوجداني (Bowlby, 1980) لدى توضيحها الكيفية التي يتطور فيها تبني الدور الوالدي في الأسر التي تواجه الضغوط المصاحبة للطلاق؛ إذ يؤدي الطلاق بحسب دراسة أماتو (Amato, 2000) إلى حرمان المراهقين في هذه المرحلة الحرجة من الرعاية الوالدية؛ مما يزيد من شعورهم بالقلق حيال مستقبلهم وذواتهم، ويدفعهم إلى تبني الأدوار الوالدية والقيام بالسلوكيات الوالدية التي تتسم بالرعاية؛ للمحافظة على بقاء الارتباط العاطفي مع أحد الوالدين، وتخفيف حدة القلق.

كما يؤدي تفكك بنية الأسرة نتيجة الطلاق إلى حدوث التداخل، أو كسر حدود عبر الأجيال في الأسرة، وغالبا ما يصحب ذلك أنماط تفاعل تشابكية تدفع الابن من النظام الأسري الفرعي الخاص بالطفل إلى النظام الفرعي الخاص بالوالدين؛ ليلبي حاجات الوالد الوجدانية المفقودة. ويستخدم الوالدان في هذه الحال عدة وسائل لدفع الابن إلى النظام الفرعي الوالدي غير مكترثين بخصوصيته واحتياجاته، ويتصرفون بطريقة تدفع الطفل لتبني الدور الوالدي، فيقوم الطفل بسلوكيات الرعاية وتقديم النصيحة والمشورة الوالدية، وهذا التفسير يؤيد ما توصل إليه جاكوبتز ورملائه (Jacobvitz, Hazen, Curran & Hitchens, 2004).

تؤيد نتيجة الدراسة ما توصل إليه مارتن (Martin, 1995) من وجود مستويات عالية من تبني الدور الوالدي لدى النساء اللواتي كن ينتمين إلى أسر مطلقة. كما تتفق مع دراسة تارا وزملاؤها (Tara, et al., 2008) التي أظهرت وجود علاقة بين تبني الدور الوالدي وبين الصراعات الزواجية. وتدعم ما توصل اليه يوركوفيك وزملاؤه (Jurkovic, et al., 2001) بخصوص وجود ظاهرة تبني الدور الوالدي بنوعيه: المادي والعاطفي لدى المراهقين أبناء المطلقين.

وللإجابة عن السؤال الثاني: هل توجد فروق دالة بين متوسطات درجات المتبنين وغير المتبنين على أبعاد قائمة الأعراض المختصرة (BSI)؟

استخرجت المتوسطات الحسابية لدرجات أبناء المطلقين ونظرائهم أبناء غير المطلقين على كل بعد من الأبعاد التي تتكون منها قائمة الأعراض المختصرة (BSI). فبلغت قيم المتوسطات لفئة المتبنين على أبعاد الأعراض السيكوسوماتية والاكتئاب والقلق والحساسية في العلاقات البين شخصية والعدائية والقلق الرهابي والبارانوية والذهانية: 2.30، و2.80، و2.54، و2.76، و2.55، 2.51، 2.53، و2.65 على التوالي وكانت متوسطات درجات المراهقين غير المتبنين للأدوار الوالدية على الأبعاد المذكورة أقل من متوسطات أقرانهم الذين تبنوا الدور الوالدي، إذ بلغت قيم متوسطات درجات غير المتبنين للدور الوالدي 1.80، و2.04، و1.95، و2.20، و2.09، و1.95، و2.18، و1.97، على التوالي. ولفحص دلالة الفروق بين متوسطات درجات المتبنين وغير المتبنين للدور الوالدي على أبعاد قائمة الأعراض المختصرة استخدم اختبار "ت" فكانت الفروق دالة إحصائيا، إذ بلغت قيم ت 3.57-، و5.30، و 2.93، و 3.90، و 3.12، و 3.73، و 2.28، و 4.92، وجميع هذه القيم دالة عند مستوى الدلالة $p < 0.05$. وجدول (7) يوضح النتائج.

جدول (7): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات متبني الدور الوالدي و نظرائهم غير المتبنين على قائمة الأعراض المختصرة ومستويات الدلالة ن=200.

متغير	تبني الدور الوالدي				Df	مستوى الدلالة
	غير المتبنين للدور الوالدي		المتبنون للدور الوالدي			
	M	S.D	M	S.D		T
الأعراض السيكوسوماتية	1.80	0.81	2.30	1.10	198	-3.57***
الاكتئاب	2.04	0.98	2.80	1.02	198	-5.30***
القلق	1.95	0.89	2.54	1.47	198	-2.93**
الحساسية في العلاقات البين شخصية	2.20	0.99	2.76	1.00	198	-3.90***
العدائية	2.09	1.02	2.55	1.08	198	-3.12**
القلق الرهابي	1.95	1.00	2.51	1.13	198	-3.73***
الأفكار البارانوية	2.18	1.07	2.53	1.06	198	-2.28*
الذهانية	1.97	0.97	2.65	0.99	198	-4.92***

مستويات الدلالة: $p < 0.05$* $p < 0.01$** $p < 0.001$***

يمكن تفسير هذه النتيجة بالاستناد إلى ما بينته نظرية النظم الأسرية عبر الأجيال (Bowen,1976) التي أشارت إلى تطور الأمراض النفسية في الأسر التي تفتقر إلى وجود النظام الفرعي الوالدي the parental subsystem الذي يزود الأبناء بالاهتمام والرعاية، وفي الأسر التي يختل فيها التوازن الأسري family homeostasis إذ يتحالف الأبناء مع أحد طرفي العلاقة (الأب أو الأم) ليشكل الاثنان قوة يكتسب من خلالها الابن السمات الوالدية التي تؤثر بدورها في نشوء الاضطرابات النفسية. وهذا التفسير تعززه نتائج دراسة إيرلي (Earley & Cuchway, 2002) التي أوضحت ارتباط تبني الدور الوالدي بالاضطرابات النفسية والصعوبات البين شخصية المتصلة بالنظام الفرعي الوالدي. وهو ما أوضحته نظرية التعلق الوجداني (Bowlby, 1980) حول تطور الاضطرابات النفسية الناجمة عن تشكل التوقعات والإدراكات والسلوكيات من خلال التمثيلات العقلية mental representations عن الذات عند غياب مقدم الرعاية care giver؛ فغياب مقدم الرعاية بشكل مستمر يؤدي إلى تطور أعراض القلق، وتهديد الشعور بالأمن؛ مما يزيد من احتمالية التثبيت أو النكوص إلى مرحلة نمائية معينة تساعد الابن في التخلص من القلق، فيتطور لديه سلوك غير سوي.

ويشير باولبي (Bowllby, 1980) في نظرية التعلق الوجداني إلى مصطلح تقديم الرعاية القسري compulsive caregiving، وهو ما يتطور نتيجة عجز الوالدين عن تقديم الرعاية للأبناء، مما يدفع الابن إلى تقديم الرعاية لوالديه، ويكون ذلك مصحوبا بتطور مشاعر الذنب guilty- driven looking after others ولوم الذات، وتدني تقدير الذات؛ مما يجعله عرضة لتطوير الاضطرابات النفسية، من نحو الاكتئاب والقلق؛ نظرا لعدم تمكنه من تلبية حاجات والديه النفسية والمادية بالشكل الكافي؛ كونه غير مؤهل لأداء هذه الأدوار (Byng- Hall, 2002).

وتفسر الباحثة هووبر (Hooper, 2007a) العلاقة القوية بين أنماط التفاعل غير الآمنة (المضطربة والمقاومة) مع تبني الدور الوالدي من خلال نماذج العمل الداخلية internal working models (IWM) التي تتكون في الأسر التي ينشغل فيها الآباء عن أبنائهم وتتصف سلوكياتهم بالإهمال، مما يخلق لدى الطفل نماذج عمل داخلية مفادها: "الآخرون غير متوفرين بشكل دائم؛ فهم لا يستحقون الثقة"، أو من خلال استدخال نموذج عمل أكثر حدة وهو" أنا غير جدير بالمساعدة والدعم". ويقوم الشخص في مرحلتي المراهقة والبلوغ باسترجاع هذه التمثيلات المعرفية عند تعامله مع المواقف الباعثة للضغط، وللتعامل مع هذا النوع من القلق يستخدم الطفل استراتيجيات دفاعية defensive stratigies من نحو الإهمال، أو سلوكيات تتيح للفرد التقرب إلى الوالدين، وهي سلوكيات الرعاية الوالدية التي تمنحه الشعور بالأمن المفقود.

أيدت نتيجة الدراسة ما توصل إليه جيمس وزملاؤه (James, Angela, Richard, Jonathan & Mark, 2014) إذ بينوا وجود مستويات عالية من الاكتئاب لدى البالغين المتبنين للدور الوالدي، كما ساندت ما توصلت إليه دراسات أخرى بينت وجود أعراض الاكتئاب والنقد الذاتي وتدني الوعي البين شخصي (Martin, 1995; Shifren & kaschoerk, 2003)، وانفصام الذات (splitting) والسمات النرجسية والماسوشية عند المتبنين للدور الوالدي (Jones & Wells, 1996).

ومع ذلك هناك دراسات (Schimming, 2000; Titzmann, 2012) لم تكشف عن وجود علاقة بين تبني الأدوار الوالدية والأعراض النفسية والاجتماعية لدى المراهقين، بل أظهرت تمتع المتبنين للأدوار الوالدية بالكفاءة الاجتماعية، والقدرة على تقديم الدعم العاطفي والمشورة والنصح لأقرانهم. هذا التضارب في نتائج الدراسات يدعو إلى إجراء المزيد من الاستقصاء لظاهرة تبني الدور الوالدي؛ لبيان الكيفية التي تتفاعل بها مختلف المتغيرات في تقرير النتائج المترتبة على تطور هذه الظاهرة عند الأبناء.

ومما يؤيد النتائج التي توصلت إليها الدراسة بخصوص الأعراض المصاحبة للتبني أن التصميم اهتم بمقارنة المراهقين لآباء مطلقين مع نظرائهم من المراهقين لآباء غير مطلقين، وأسفرت النتيجة عن ارتباط تبني الدور الوالدي مع الأعراض النفسية عند كلا الفئتين؛ مما يدعو إلى الاطمئنان بأن الأعراض النفسية التي ارتبطت بالتبني ترجع إلى تبني الدور الوالدي، وليس بالضرورة إلى طلاق الوالدين، لاسيما وأن دراسة ستوركن وزملائها (Storken, Roysamb,

(Holmen, & Tambs, 2006) توصلت إلى ارتباط طلاق الوالدين بمستويات عالية من الاكتئاب والقلق وتدني التحصيل الدراسي، كما توصل أورجيليس وزملاؤه (Orgilés, Johnson, Huedo & Espada, 2012) إلى تدني مستويات مفهوم الذات لدى المراهقين أبناء الأسر المطلقة. وهذه النتيجة بدورها تستدعي إجراء دراسات لاحقة تبين التأثير النسبي لطلاق الوالدين والتبني في تطور الأعراض النفسية.

وللإجابة عن السؤال الثالث: ما المتغيرات الديموغرافية والاجتماعية الأكثر تنبؤا بتطور تبني الدور الوالدي؟

حسبت معاملات الانحدار الثنائية في تحليل الانحدار اللوجستي الثنائي؛ لبيان أهم المحددات المؤثرة من بين المتغيرات المذكورة في تطور ظاهرة تبني الدور الوالدي لدى المراهقين. ويبين جدول (8) أن متغيرات: العمر، ومستوى الوالدين التعليمي، والحالة الاقتصادية للوالدين، دالة إحصائيا في تفسيرها لنموذج تبني الدور الوالدي لدى المراهقين؛ إذ جاء متغير الحالة الاقتصادية في المرتبة الاولى من حيث الأهمية في التأثير على تطور تبني الدور الوالدي. وقد بلغت قيمة معامل الانحدار لهذا المتغير عند مستوى الحالة الاقتصادية المناسب B=1.32 ومستوى الحالة الاقتصادية الممتاز B= 2.13؛ مما يعني أن تغير الحالة الاقتصادية من متدنية إلى مناسبة وممتازة سترفع من احتمال تطور ظاهرة تبني الدور الوالدي بمقدار (3.77) و (8.46) مرة في لوغاريتم الأفضلية لمتغير تبني الدور الوالدي، مع ثبات تأثير بقية المتغيرات على التوالي. كما جاء متغير مستوى الوالدين التعليمي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية في التأثير على تطور تبني الدور الوالدي، إذ أن معامل الانحدار لمستوى الدراسات العليا بلغ B=-1.26؛ مما يعني أن تغير المستوى التعليمي للوالدين من ثانوية ودون إلى دراسات عليا سيخفض من احتمال تطور ظاهرة تبني الدور الوالدي بمقدار (0.28) مرة في لوغاريتم الأفضلية لمتغير تبني الدور الوالدي، مع ثبات تأثير بقية المتغيرات. وجاء في المرتبة الثالثة متغير الفئة العمرية للمراهق، إذ بلغت قيمة معامل الانحدار لفئة المراهقين في فترة المراهقة المتأخرة B=-2.63؛ مما يعني أن التغير في عمر المراهق من فترة المراهقة المتأخرة الى فترة المراهقة المبكرة سيقلل من احتمال تطور تبني الدور الوالدي بمقدار 0.07 مرة في لوغاريتم الأفضلية لمتغير تبني الدور الوالدي، مع ثبات بقية المتغيرات. ويتضح من جدول (8) أن هذا النموذج قد فسر 34.9 % من التباين (variance) في قيم التبني للدور الوالدي عند المراهقين المشاركين في الدراسة. ولم تكشف النتائج عن فروق دالة في تبني الدور الوالدي في ضوء متغيري: جنس المراهق وترتيبه الولادي.

جدول (8): معاملات الانحدار اللوجستي ثنائي الاستجابة Logistic Regression لتبني الدور الوالدي في ضوء متغيرات جنس المراهق، وترتيبه الولادي، وفئته العمرية، ومستوى الوالدين التعليمي والاقتصادي ن=200

متغير	معامل الانحدار B	OR(Odd Ratio)
جنس المراهق Reference category. Female		
Male	-0.32	0.72
الفئة العمرية (13-16) Reference cat.		
(19-16)	-2.63***	0.07
الترتيب الولادي (Reference cat. (first child		
الثاني	-0.49	0.61
الأخير	0.52	1.69
غير ذلك	0.62	1.87
مستوى الوالدين التعليمي (Reference cat. High school)		
دبلوم	0.08	1.09
دراسات عليا	-1.26*	0.28
مستوى الوالدين الاقتصادي (Low)		
مناسب	1.32**	3.77
ممتاز	2.13***	8.46
Nagelkerke R^2	**0.349**	

مستويات الدلالة: $p < 0.05$* $p < 0.01$** $p < 0.001$***

يتضح من النتائج أن احتمال تطور تبني الدور الوالدي يزداد مع ارتفاع المستوى الاقتصادي، ومع تدني المستوى التعليمي للوالدين، ومع الانتقال من مرحلة المراهقة المبكرة إلى مرحلة المراهقة المتأخرة.

إن ازدياد احتمالية تطور ظاهرة تبني الدور الوالدي مع ارتفاع المستوى الاقتصادي مسألة تحتاج إلى مزيد من البحث؛ لمعرفة الكيفية التي يتدخل فيها اختلاف مستوى الدخل في إمكانية تطور الظاهرة لاسيما وأن التبني قد يكون عاطفيا emotional أو ماديا instrumental. ولكن مراجعة مضمون الأداة التي استخدمت في قياس التبني يوضح أن معظم الفقرات كانت تركز على ما يمكن أن يقدمه المتبني للدور الوالدي من مساندة عاطفية. وحتى الفقرات التي تناولت الجانب المادي كانت تركز على قيام المتبني ببعض المهام المتعلقة بإعداد الطعام أو الوظائف المنزلية، ولم تتضمن الاستبانة فقرات تتصل بقيام المتبني بتحمل مسؤوليات ذات طابع مالي، كتولي مهمة تسديد الفواتير، أو تأمين النقود، وهي الحالة التي يمكن أن تتضح في حالات العجز المادي للأبوين. وبذلك فإن هذه النتيجة تصبح أكثر قبولا، إذا ما افترضنا أن المشكلة هنا لا تكمن

بتقديم العون المادي للأسرة الذي لا تكون بحاجة إليه، وإنما تقتصر، في الغالب، على المساندة العاطفية التي تكون الأسرة بأمس الحاجة إليها. وهذا، بدوره، يجعل السبب الذي أدى إلى زيادة احتمال تطور ظاهرة التبني مع تدني المستوى التعليمي للوالدين أكثر وضوحا، إذ يتوقع أن تتسم استراتيجيات التعامل التي يوظفها الآباء الذين حصلوا على مستويات تعليم أفضل مع الصراعات الزواجية بالمسؤولية والوعي، مما يشكل حماية للأبناء من الانخراط في مشاكلهم، وبذلك لا يكونون مدفوعين لتبني أدوار آبائهم. ومع ذلك فإن هذه النتيجة تستدعي مزيدا من البحث؛ لمعرفة الكيفية التي يؤثر بها المستوى الاقتصادي والتعليمي للوالدين في تطور ظاهرة تبني الدور الوالدي، لاسيما أن الدراسات لم تتناول هذين المتغيرين.

وقد جاءت النتيجة المتعلقة بمتغير العمر منسجمة مع المنطق، إذ من المتوقع أن يميل الأبناء إلى القيام بأدوار الآباء كلما كانوا أكثر نضجا وأكثر قدرة على تحمل المسؤولية. وهذا ما كشفت عنه النتائج، إذ اتضح ازدياد الميل إلى حدوث التبني، مع الانتقال من المراهقة المبكرة إلى المراهقة المتأخرة.

أيدت نتيجة الدراسة ما توصلت إليه دراسات سابقة (Burton, 2007; Johnston, 1990; Jurkovic, Morrell, & Thirkieled, 1999) إذ بينت أنه كلما كان عمر الابن الذي يتبنى الدور الوالدي أقل كان تأثيره في مراحل العمر اللاحقة أكبر.

أما بالنسبة لإلى متغير جنس المراهق فقد اتفقت نتيجة الدراسة مع ما توصل إليه جوركوفيك (e.g., Jurkovic, Kuperminc, Casey, 2009) حول عدم وجود فروق في تطور ظاهرة تبني الدور الوالدي في ضوء متغير الجنس، مع أن نتائج الدراسات اختلفت بالنسبة إلى دور الجنس في حدوث تبني الدور الوالدي؛ فبعض الدراسات (Burrent, et al., 2006) أظهرت أن تبني الدور الوالدي كان أكثر انتشارا بين الإناث مقارنة بالذكور، في حين كشفت دراسات أخرى (Diaz, Siskowski, & Conors, 2007) أن الذكور سجلوا مستويات أعلى من تبني الدور الوالدي الذي خلف آثارا سلبية على الأبناء الذكور بشكل خاص. إضافة إلى أن النتائج المتعلقة بالآثار التي يتركها التبني على الذكور والاناث كانت متعارضة أيضا؛ فهناك من الباحثين (Burt, 1992; Chase, 1999; Jurkovic, 1997) من توصل إلى أن المخاطر السلبية المصاحبة لتطور تبني الدور الوالدي كانت أكثر وضوحا عند الإناث من الذكور، في حين بينت دراسات أخرى (Diaz, Siskowski, & Conors, 2007) عكس ذلك.

هذه الاختلافات في نتائج الدراسات تستدعي إجراء المزيد من الاستقصاء؛ لتحديد الظروف التي تقود إلى التبني البناء constructive parentification وتلك التي تزيد من فرص تطور التبني الهدام destructive parentification، مع مراعاة ضبط المتغيرات البيئية والثقافية التي قد تؤثر في تطور تبني الدور الوالدي عند الجنسين وفي النتائج المترتبة على تطوره؛ إذ قد يرجع اختلاف نتائج الدراسات إلى بعض الاعتبارات الثقافية، أو الأوضاع الأسرية المحيطة بالمتبني، أو المحفزات التي ترتبط بالتبني، أو لأن الأعباء المفروضة على المتبني لا تشكل مصدر خطر على صحته النفسية.

في النهاية نستطيع القول إن نتائج الدراسة اتفقت مع التوجهات النظرية والمفاهيم التي تناولتها نظريات العلاج الأسري التي بينت أن تفكك الأوضاع الأسرية وانفصال الوالدين يجعل الأبناء معرضين لخطر تطوير الأعراض النفسية التي ترجع إلى حرمانهم من الحصول على الرعاية الكافية، وإلى اضطرارهم القيام بأدوار مقدمي الرعاية، وتحملهم مسؤوليات وأعباء لا تنسجم مع خصائص المرحلة التطورية التي يمرون بها.

التوصيات

فيما يأتي مجموعة من التوصيات استنادا إلى ما توصلت إليه الدراسة من نتائج:

- إجراء الدراسات حول الظروف التي تسهم في تطور تبني الدور الوالدي عند الأبناء من الأطفال والمراهقين وانعكاساته في ضوء خصائص الدور ونوع المسؤوليات التي يتحملها متبنو الدور الوالدي وخصائص شخصياتهم.
- إجراء الدراسات التي تبين أثر اختلاف العوامل الثقافية في تطور ظاهرة التبني لدى الأطفال والمراهقين وانعكاساتها النفسية عليهم.
- إجراء الدراسات حول تبني الدور الوالدي بنوعيه: المادي، والعاطفي، وانعكاساته على الفرد المتبني.
- إجراء الدراسات؛ لتحديد الظروف التي تسهم في تطوير الأطفال والمراهقين للتبني بنوعيه: الهدام، والبناء وانعكاسات كل منهما على الأوضاع النفسية للمتبنين.
- إجراء الدراسات التي تبين علاقة تبني الدور الوالدي بالتكيف الأسري، وبالأوضاع النفسية للمتبنين بعد الزواج.
- إجراء الدراسات التي تبين النتائج المترتبة على تبني الدور الوالدي لدى الأطفال والمراهقين الذين استشهد آباؤهم، أو احتجزوا لفترات طويلة، أو تعرضوا لإعاقات وأمراض سببتها ظروف الاحتلال؛ مما أعاقهم عن أداء أدوارهم الوالدية المادية والعاطفية تجاه أبنائهم وبناتهم.
- قيام المؤسسات المعنية بتوجيه اهتمام المربين والاختصاصيين النفسيين الذين يتعاملون مع المراهقين إلى الانتباه إلى الحالات التي تبنت الأدوار الوالدية، وبناء خطط وقائية وعلاجية تستند إلى مفاهيم واستراتيجيات العلاج الأسري، للتخفيف عن الأطفال والمراهقين الذين يتعرضون إلى ظروف أسرية تسهم في حدوث التبني الهدام، من نحو طلاق الوالدين، والحرمان من أحدهما أو كليهما.

References (Arabic & English)

- Amato, P. (2000). The consequences of divorce for adults and children. *Journal of Marriage and Family*. 62(4), 1269–1287.

- Arredondo, P. (2013). *The relationship of parentification to adolescent psychological adjustment in single parent Mexican and Mexican-American female-headed families*. Doctoral dissertation. Aliant International University, Los Angeles, USA.
- Barber, M., & Siskowski, C. (2008). Youth caregivers: Unrecognized providers of care. *Pediatrics*, 93(3), 488-494.
- Becker, S. (2007). Global perspectives on children's unpaid caregiving in the family: Research and policy on "young carers" in the UK, Australia, the USA and Sub-Saharan Africa. *Global Social Policy, 7*, 23–50.
- Blacka, B. T. & Sleigha, M. J. (2013). Relations among parentification, parenting beliefs, and parenting behaviors. *Journal of Student Research*. 2(1), 52-57.
- Bolton, D. (2008). What is Mental Disorder? An Essay in Philosophy, Science, and Values. Oxford: Oxford University Press.
- Boszormenyi-Nagy, I., & Spark, G. M. (1973**).** *Invisible Loyalties*. New York: Brunner/ Mazel.
- Bowen, M. (1978). *Family Therapy in Clinical Practice*. New York: Jason Aronson.
- Bowen, M. (1976). Theory in the Practice of Psychotherapy. In P. J. Guerin. (Ed.). *Family therapy*. New York: Gardner.
- Bowlby, J. (1980). *Attachment and Loss: Loss, Sadness, and Depression*. New York: -Basic Books.
- Bowlby, J. (1977). The making and breaking of affectional bonds**.** *British Journal of Psychiatry*. 130(5), 201-210.
- Briere, J. (1992). *Child Abuse Trauma: Theory and Treating of the Lasting Effects*. Newbury Park, CA: Sage
- Burton, L. (2007). Childhood adultification in economically disadvantaged families: A conceptual model. *Family Relations*. 56(4), 329–345
- Byng-Hall, J. (2002). Relieving parentified children's burden in families with insecure attachment patterns**.** *Family Journal*. 41(3), 375–388.

- Carroll, J.J., & Robinson, B.E. (2000). Depression and parentification among adults as related to parent workaholism and alcoholism. *Family Journal*. 8(4), 360–367.
- Chase, N.D. (1999). *Burdened Children. Theory, Research and Treatment of Parentification*. London: Sage
- Chase, N., Demming, M., & Wells, M. (1998). Parentification, parental alcoholism, and academic status among young adults. *American Journal of Family Therapy*. 25(2), 105–114.
- Cicchetti, D. (2004). An odyssey of discovery: Lessons learned through three decades of research on child maltreatment. *American Psychologist*. 59(8), 731-741.
- Clerici R., & Vanin V. (2001). *Validation of Italian Context of Jurkovic and Sessions "Parentification Questionnaire*". Unevirsity of Padova.
- Daoud, F., Abo jedi, A. (2010). Equivalent factorial structure of the brief symptom inventory (BSI) in clinical and nonclinical Jordanian populations. *European Journal of Psychological Assessment*. 26(2):116-121
- Derogatis, L.R. (1992). The Brief Symptom Inventory (BSI). Administration, Scoring and Procedures Manual II. Baltimore, MD: *Clinical Psychometric Research*. 26(2), 2010, 116-121
- Derogatis, L. R., Rickels, K., & Rock, A. F. (1976). The SCL-90 and the MMPI: A step in the validation of a new self-report scale. *British Journal of Psychiatry*. 128(3), 280-289.
- Diaz, N., Siskowski, C., & Connors, L. (2007). Latino young caregivers in the United States: Who are they and what the academic implications of this role are? *Journal of School Psychology*. 34(4), 325 – 336.
- Earley, L., & Cushway, D. (2002). The parentified child**.** *Clinical Child Psychology and Psychiatry*. 7(2), 163–178.
- Fitzgerald, M. (2005). The impact of parentification on children’s psychological adjustment. University of Georgia. following childhood parentification: A retrospective exploratory study. *The Journal of Family Therapy*. 30, 147-152.

- Godsall, R., Jurkovic, G., Emshoff, J., Anderson, L., & Stanwyck, D. (2004). Why some kids do well in bad situations: Relation of parental alcohol misuse and parentification to children's self-concept. *Substance Use & Misuse*, 39(5), 789-809. doi: 10.1081/JA-120034016
- Goglia, L.R., Jurkovic, G.J., Burt, A.M., & Burge-Callaway, K.G. (1992). Generational boundary distortions by adult children of alcoholics: Child-as-parent and child-as-mate. *American Journal of Family Therapy*. 20(4), 219–299.
- Hooper, LM., Doehler, K., Jankowski, PJ., & Tomek, SE. (2012). Patterns of self-reported alcohol use, depressive symptoms, and body mass index in a family sample: The buffering effects of parentification. *The Family Journal*. 20(2), 164–178.
- Hooper, L. M. (2007a). The application of attachment theory and family systems theory to the phenomena of parentification. *The Family Journal*. 15(3), 217-223.
- Jacobvitz, D., Hazen, N., Curran, M., & Hitchens, K. (2004). Observations of early triadic family interactions: Boundary disturbances in the family predict symptoms of depression, anxiety, and attention-deficit/hyperactivity disorder in middle childhood. *Development & Psychopathology*. 16(3), 577–592.
- Jacobvitz, D., Riggs, S., & Johnson, E. (1999). Cross-sex and same-sex family alliances: immediate and long-term effects on sons and daughters. In N.D. Chase (Ed.), *Burdened Children: Theory, Research and Treatment of Parentification*. Thousand Oaks, CA: Sage Publications.
- James, M., Angela, B., Richard, B., Jonathan, G., & Mark, A. (2014). *The Impact of Parentification on Depression Moderated by Self-Care: A Multiple Group Analysis by Gender for South Korea and the U.S***.** Doctoral Dissertation. Brigham Young University.
- Johnston, J. R. (1990). Role diffusion and role reversal: Structural variations in divorced families and children’s functioning. *Family Relations*. 39(4), 405–413.
- Jones, J. (1982). The children of alcoholics screening test. Des Plaines, IL: Family Recovery Press.

- Jones, R. A., & Wells, M. (1996). An empirical study of parentification and personality. *American Journal of Family Therapy*, 24(2), 145–152.
- Jurkovic, G.J, Kuperminc, G.P., & Casy, S. (2009). Relation of Filial Responsibility to the Personal and Social Adjustment of Immigrant Latino Adolescents. *Journal of Family Psychology*, 23(1), 14-22.
- Jurkovic, G. J., Thirkield, A., & Morrell, R. (2001). Parentification of adult children of divorce: A multidimensional analysis. *Journal of Youth & Adolescence*. 30(2), 245–257.
- Jurkovic, G.J., Morrell, R. & Thirkield, A. (1999). Assessing Childhood Parentification: Guidelines for Researchers and Practitioners. In Chase, N. (Ed.) *Burdened children: Theory, research and treatment of parentification.* London: Sage Publications.
- Jurkovic, G.J. (1997). *Lost Childhoods: The Plight of the Parentified Child***.** Philadelphia: Brunner/Mazel.
- Jurkovic G.J. Session M.W. (1986). *The Parentification Questionnaire*, Department of Psychology, Georgia State University, Atlanta
- Karpel, M.A. (1977). *Intrapsychic and interpersonal processes in the parentification of children***.** Dissertation Abstract International. 83, 365.
- Kelly, J.B. (2000). Children's adjustment in conflicted marriageand divorce: A decade review of research. *Journal of the American Academy of Child & Adolescent Psychiatry*. 39, 963–973.
- Lackie, B. (1983). The families of origin of social workers. Clinical Social Work Journal. 11(4), 309–322.
- McMahon, T.J., & Luthar, S. S. (2007). Defining characteristics and potential consequences of caretaking burden among children living in urban poverty. *American Journal of Orthopsychiatry*, 77(2), 267–281.
- Mika, P., Bergner, R.M., & Baum, M.C. (1987). *The development of a scale for the assessment of parentification*. Family Therapy, 14, 229–235.

- Martin, M. (1995). *Parentification in divorced families*. Unpublished Doctoral Dissertation. University of Virginia.
- Minuchin, S. (1974). *Families and Family Therapy*. Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Minuchin, S., Montalvo, B., Guerney, B., Rosman, B. & Schumer, F. (1967). Families of the Slums: An Exploration of Their Structure and Treatment. New York, NY: Basic Books. *Journal of Marriage and Family*. 63, 446-457.
- Nichols, M., & Schwartz, R. (2005). *Family Therapy: Concepts and Methods* (7th Ed.). New York: Prentice Hall.
- Nunnally, J.C. (1970). *Introduction to Psychological Measurement*. New York: McGraw-Hill.
- Orgilés, M., Johnson, B., Huedo, M., & Espada, J. (2012). Self-concept and social anxiety as predictor variables of academic performance of Spanish adolescents with divorced parents, *Electronic Journal of Research in Educational Psychology*. 10(1), 57-72.
- Ross, L.T., & Hill, E. M. (2000). The family unpredictability scale: Reliability and validity. Journal of Marriage and Family. 62(2), 549-562.
- Rowa, K., Kerig, P., & Geller, J. (2001). The family anorexia nervosa: Examining parent-child boundary problems. *European Eating Disorders Review*. 9(2), 97–114.
- Schimming, J. (2000). *Parentification within divorce, single parent families and adolescent psychosocial functioning*. Doctoral Dissertation, the University of Toledo, USA.
- Sessions, M.W., & Jurkovic, G.J. (1986). *The Parentification Questionnaire*. Available from Gregory J. Jurkovic, Department of Psychology, Georgia State University, University Plaza, Atlanta, GA 30303, USA.
- Shifren, K., & Kachorek, L.V. (2003). Does early caregiving matter? The effects on young caregiver's adult mental health. *International Journal of Behavioral Development*. 27, 338–346.
- Sroufe, L.A., Matas, L., & Rosenberg, D., & Levy, A. (2000). *Revised manual for scoringmother variables in tool-use task*.

Unpublished manual. Parent-child project, Institute of Child Development, University of Minnesota.

- Storken, I., Roysamb, E., Holmen, T.L., & Tambs, K. (2006). Adolescent Adjustment and Wellbeing: Effects of Parental Divorce and Distress. *Scand J. Psychol*. 47(1), 75-84.
- Tara, S., Peris, Marcie, C., Goeke-Morey, E., Mark, & Robert E. Emery. (2008). Marital Conflict and Support Seeking by Parents in Adolescence: Empirical Support for the Parentification Construct. *J Fam Psychol*. 22(4), 633–642.
- Titzmann, P. (2012). Growing up too soon? Parentification among immigrant and native adolescents in Germany. *J Youth Adolescence*. 41(7), 880–893.
- Wells, M., & Jones, T. (2000). Childhood parentification and shame-proneness: A preliminary study. *The American Journal of Family Therapy***.** 28(1), 19- 27.
- Wells, M., & Jones, R. (1998). Relationship among childhood parentification splitting and dissociation: Preliminary findings. *American Journal of Family Therapy*, 26(4), 331–339.
- Williams, K. (2010). *Examining the construct of childhood parentification: An empirical investigation*. Master Thesis. Humanities & Social Scieneces. Psychology Department. Memorial unevirsity of Newfandland.
- The report issued by the Department of Palestinian statistics (2014).